ملخص

بُزُوغُ ضِيَاءِ الفَجْرِ الوَضَّاءْ

عَلَى سَحَرِ مَسْأَلَةِ التَّصْوِيرِ بِالأَضْوَاءْ

عبد الرحمن بن مِيهُوب القَدَّارِي

هذا العمل وقف للمسلمين، وحقوق النشر والطباعة لكافتهم، ولا أسمح لأحد أن ينفرد بشيء من سبل الانتفاع بمحتواه حرفًا حرفًا.

وتجد – إن شاء الله – أحدث نسخة منه وملخصه من خلال هذا الرابط:

https://arm-alqaddari.codeberg.page

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد: فهذا ملخص كتابي *بزوغ ضياء الفجر الوضاء على سحر مسألة التصوير بالأضواء*، بينت فيه حقيقة التصوير الضوئي ورددت على شبهاته. وهو على المنوال التالي: بيان ماهية التصوير الضوئي، والرد على الشبهات، حجج مضادة، وبيان خطأ دعوى الحاجة إليه لنشر العلم، وبيان مصدر الفتنة. وأقول لك أيها القارئ: تجرد للحق، فربما وجدت هنا ما يخالف ما اعتدته، واعلم أن شرع الله كله خير، وما ثقل علينا منه فبسبب خلل في نفوسنا. فاستعذ بالله من الشيطان، وتوكل عليه. فإن تبين لك غلطك فارجع إلى الحق وبيّن للناس، عسى الله أن يرحمنا ويصلح حال الأمة.

وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

كتبه: عبد الرحمن بن ميهوب القَدَّاري، في ربيع الثاني، 1447 هـ.

الباب الأول: بيان ماهية التصوير الضوئي

كيف نرى؟

الضوء يسير في خط مستقيم[1]، وعندما يعترض جسم طريقه، ينعكس إلى عينيك فترى. إذ نحن لا نرى الأشياء لكونها موجودة، بل نرى الضوء المنعكس عنها. وكلما قل الضوء، قل الانعكاس، والعكس صحيح.

وبما أن العالم شاسع والعين صغيرة، فهذا يعني أن أشعة الضوء تدخل من فَتْحَة صغيرة جدا إلى غرفة مظلمة.

ماهو الضوء؟

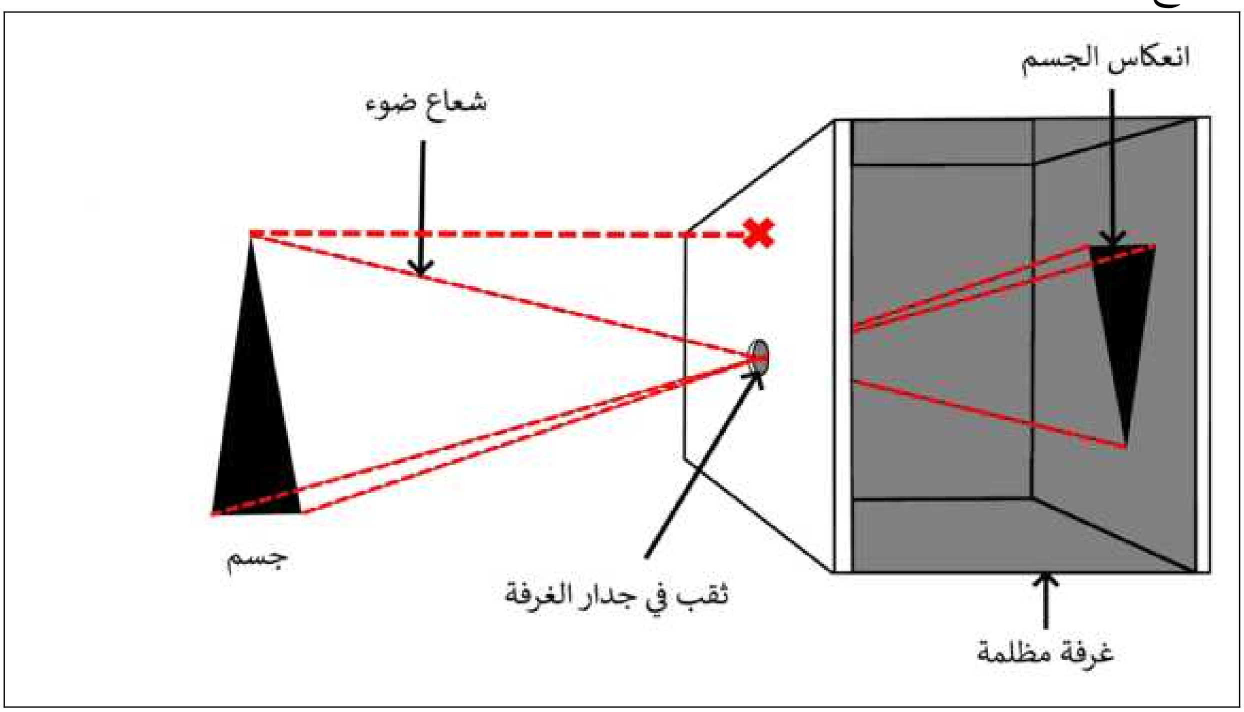
الضوء شَكْل من أشكال الطاقة – وأهمها – التي تنبعث من الأجسام التي لها طاقة زائدة، وتكون مرئية للعين البشرية. لونه يتوافق مع كمية الطاقة، حيث يتراوح من الأحمر منخفض الطاقة إلى البنفسجي عالي الطاقة. وعندما تجتمع هاته الألوان – ألوان قوس المطر –، نراها بيضاء، أي ضوء أبيض.

-1- برهان ذلك تَكَوُّنُ الظل عند اعتراض جسم كثيف لمصدر ضوء في الجهة المقابلة، أي أن انعدام الضوء وراء الجسم دليل على سير الضوء في خطوط مستقيمة.

مهد التصوير الضوئي

لوحظ أنه لو كانت غرفة بها ثقب صغير في أحد الجدران، فسيتم رؤية صورة ما في الخارج على الجدار المقابل للثقب، مقلوبة.

وتظهر مقلوبة لأن الضوء يمر من خلال ذاك الثّقب، ولا يمكنه المرور مباشرة. فالزاوية التي يستطيع الدخول منها تكون مائلة جدا، فتتسبّب بذاك القلب.



لماذا لا نوسع الفَتْحَة لكي يستطيع الضوء الدخول مباشرة ولا تظهر الصورة مقلوبة؟

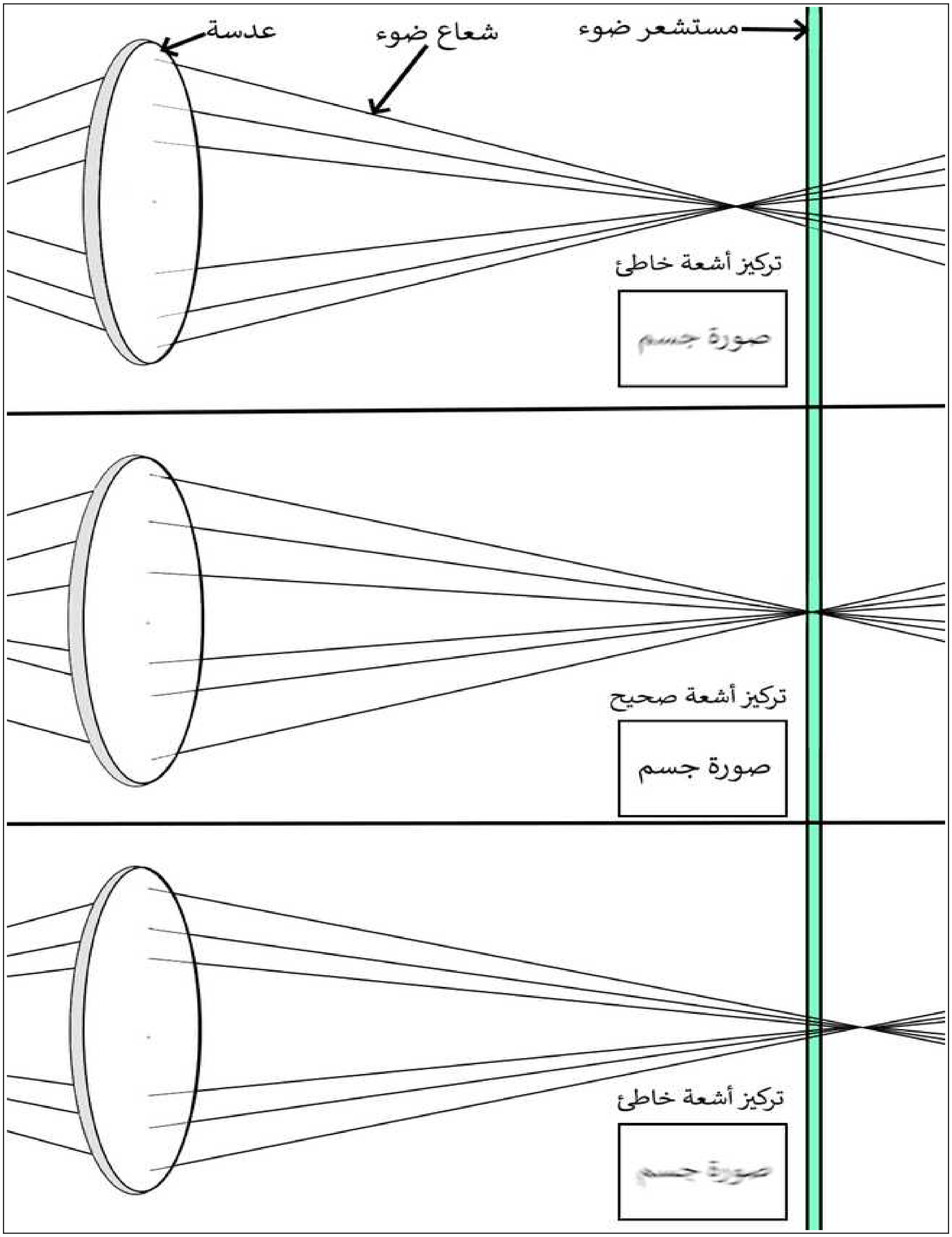
إن وسّعنا الفَتْحَة، فلن تصبح الغرفة مظلمة، ولن نرى الانعكاس، لأن تركيز الضوء هو ما يسمح برؤيته.

مولد التصوير الضوئي

حتى الآن، لا تصوير. مجرد توجيه للأشعة الضوئية، كما المرآة، بحيث، لو أُخْفي الجسم، لاختفى انعكاسه.

وبما أن التصوير قائم على ترتيب أشكال وألوان، وأن الضوء مجرد طاقة، فقد اعتمد أحدهم على هذا ووضع مواد حساسة للضوء في الجزء الخلفي من تلك الغرفة، مما سبب تفاعل المواد الكيميائية، وتغير ألوانها بسبب تأثير طاقة الضوء عليها. تغير الألوان في المناطق التي أصابها الضوء هو ما مكن من نقش الصورة على سطح المادة.

لكن مجرد تسليط الضوء لم يكن كافيا، فأول صورة استغرقت 8 ساعات وكانت ضبابية لعدم جمع الضوء بكفاءة. ثم تحسنت الصور مع تطوير العدسات التي تركز الأشعة على نقطة واحدة، ونظام التركيز الذي يضمن وصول الضوء بدقة إلى المستشعر، مما جعل الصورة أوضح.


عدسة
شعاع ضوء
مستشعر ضوء
تركيز أشعة خاطئ
صورة جسم
تركيز أشعة صحيح
صورة جسم
تركيز أشعة خاطئ
صورة جسم

بيان ماهية التصوير الضوئي

يسميه البعض التصوير "الفوتوغرافي"، وهذا خطأ، فكأنك تسميه: "التصوير الضوئي الرسمي" أو "التصوير الضوئي التصويري". وكلمة "فوتوغرافي" مستعربة، أصلها من "Photography"، والتي بدورها أصلها يوناني، وهي مكونة من كلمتين: "Photo": من الكلمة اليونانية "Phos"، وتعني "ضوء". و"Graph": تعني "رسم". أي أن أهل الصنعة يسمونه "الرسم الضوئي" ويُعَرِّفُونَهُ على أنه رسم أصلا، والآلة التي تقوم به ترسم، الفارق فقط أنها تستعمل الضوء.

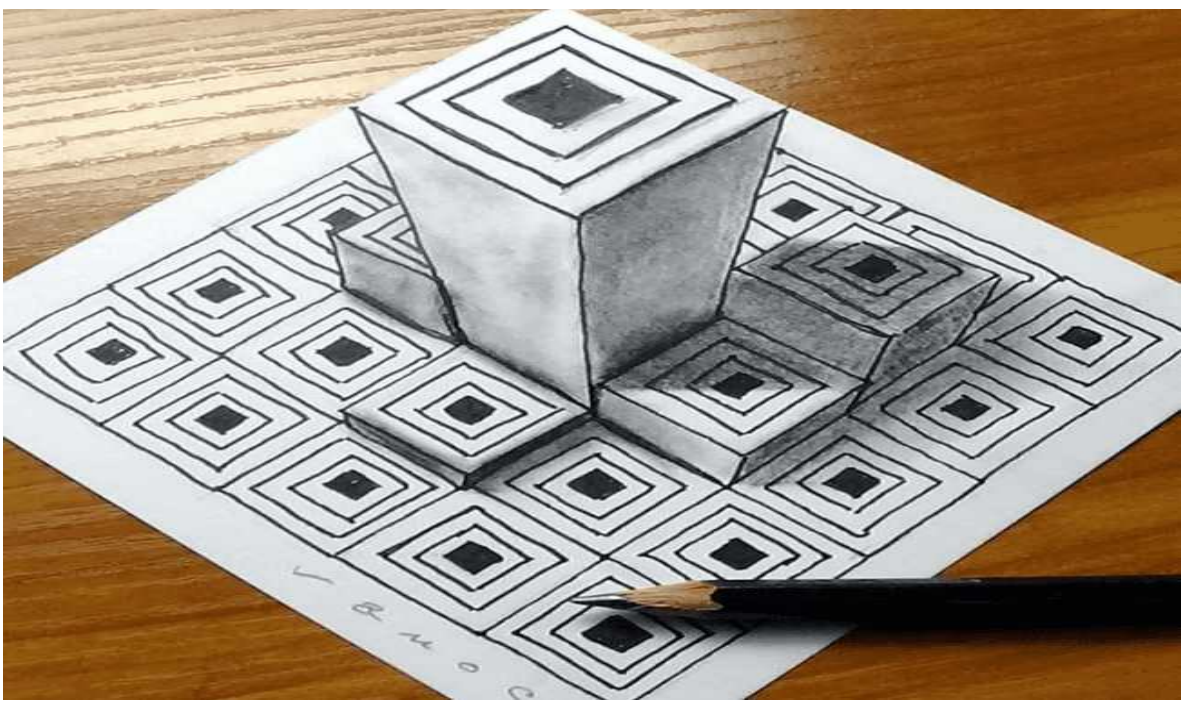
وقد يستشكل البعض استعمال الضوء لتشكيل ألوان دون حبسه نفسه، وهذا يرجع لعدم فهم التصوير والصورة فهمًا أصوليا، والاعتماد على الفهم السطحي، فالتصوير الضوئي يجمع البصريات والكيمياء والكهرباء والفيزياء وعلوم الحاسوب، ومن الطبيعي أن يفهمه خطأ من يفتقد أساسيات هذه العلوم.

ماهو التصوير؟

التصوير هو تصيير الصور وصنعها، والصور ألوان مرتبة، وترتيبها هو ما يمكننا من تمييزها.

تصيير الصور يكون عن طريق تشكيلها وتخطيطها، وهو ما أُفَضِّل تسميته – عند التدقيق – بـ(**ترتيب ألوانها**).

إدراك الصور المجسمة يحتاج عوامل أكثر عند صنعها، ولكن يبقى للألوان دور أساسي عند إدراكها. ولك أن تَتَمَعّن في الرسوم المسطحة التي تبدو ثلاثية الأبعاد، فمَا هي إلا ترتيب لألوان.



كيف كانت تعمل آلة التصوير الشريطية؟

آلة التصوير الشريطية تعمل عبر عدسة تجمع الضوء وتوجهه للشريط الحساس، حيث تُسجل تفاصيل الصورة. بعد ذلك، يُعالَج الشريط كيميائيا في غرفة مظلمة لإعادة تشكيل الألوان وتكوين الصورة النهائية. العملية لا تثبت الضوء نفسه، بل تشكّل ألوانه كما لو كنت تلون بالمواد الكيميائية.

كيف تعمل آلة التصوير الرقمية؟

تحتوي آلة التصوير الرقمية الحديثة على ملايين المستشعرات الضوئية الصغيرة، صغيرة لدرجة أنها لا ترى بالعين المجردة. وكل مستشعر ضوء يلتقط شدة الضوء ولونه، ويحول هذا الضوء إلى إشارات كهربائية. ثم يعالج الحاسوب داخل آلة التصوير هاته الإشارات، وضبط معلومات الألوان من سطوع وبريق ومكانها داخل الإطار الملتقط، بناء على النمط الذي اكتشفته مستشعرات الضوء. وهذا يتيح لآلة التصوير الاحتفاظ بتفاصيل عالية الدِّقَّة، وكلما زاد عدد المستشعرات، كلما زادت الدِّقَّة.

وتُخزَّن البيانات في ذاكرة آلة التصوير على شكل معلومات رقمية، بحيث يمكن استعمالها لإنشاء ما لا نهاية له من الصور لاحقا.

لك أن تقول أن البيانات تشبه الوصفة التي تمكنك من طبخ نفس الوجبة مرارا وتكرارا.

هل التصوير الضوئي مجرد عكسٍ للضوء كالمرآة؟

أولا، لبيان هذا نحتاج شرح مزيد من المفاهيم والأساسيات:

ما هي الصورة؟

وبالصورة نقصد الصورة الحسية المرئية، وهي صورتان:

صورة أصلية: وهي الصور التي خلق الله عليها خلقه. صورة لا يمكن إدراكها إلا برؤية الضوء المنبعث بعد انعكاسه عن ذات المخلوق.

صورة منسوخة: وهي بيت القصيد، الصورة التي حرم صنعها إن كانت لذات روح، وهي:

أيُّ تمثيل بصري لشيء، يتيح لك أن تدرك كيف يبدو الشيء دون الاعتماد عليه نفسه أو وجوده.

وبعبارة أخرى: **أيُّ تمثيل بصري لشيء تم إدراكه بسبب ضوء منعكس عن غير ذات الشيء.**

فكلما أدركت كيف يبدو شيء ما دون النظر مباشرة إلى ذاته أو انعكاسه، فاعلم أنك نظرت إلى صورة منسوخة له، حتى ولو كانت مطابقة له بأدق التفاصيل، فتلك الصورة ليست بضوء منبعث أو منعكس عن الشيء نفسه، بل هي ضوء منبعث أو منعكس عن شيئ منفصل عن كيانه، له

كيان مستقل بحد ذاته، تم إيجاده عن طريق عملية، باستخدام آلة، ويخزن في مادة. ويتضمن هذا التعريف صور الأشياء الخيالية، فالمصور **ينسخها** من مخيلته.

ما هي المرآة؟

المرآة جسم أملس صقيل، مما يجعل الضوء ينعكس عنها بانضباط، وعندما تصطدم بسطحها، تنعكس بزاوية مساوية للسقوط، فتصل للعين، فيفسر الدماغ الانعكاس وكأنه جسم خلف المرآة اعتمادا على الخط المستقيم بينه وبينها، رغم أن الجسم الحقيقي أمام المرآة.

ثانيا: الإشكال ينشأ من الظن بأن المصورة تعمل كالمرآة، لأن كلاهما يُظهر ما أمامه كما هو. ولكن الفرق الجوهري هو ما يحدث بعد وصول الضوء: فالمرآة تعكسه فورا دون معالجة، أما المصورة فتمتصه وتستخدم طاقته لتكوين صورة ثابتة. كيميائيا في المصورات القديمة، وكهربائيا في الرقمية. إذن المصورة لا تعكس الضوء مباشرة، بل تستفيد من خصائصه، والإشكال نابع من إغفال هذا الفارق.

ولمزيد من البيان، لك أن نتأمل أنه قبل التقاط الصورة، كل شاشة هاتف تعرض نفس المشهد بشكل مختلف، مما يثبت أن أي صورة ضوئية ليست حبسا لما في الواقع، بل **إعادة خلق** المشهد بسرعة هائلة.

آلة التصوير الرقمية عين ودماغ ويد وقماش وطلاء

كيف ذلك؟

العين: عدستها تعمل كعين الإنسان، فتتحكم في كمية الضوء وزاويته، وتحول الضوء إلى إشارات كهربائية عبر المستشعرات، ثم تُرسل إلى معالجها الداخلي.

الدماغ: يعالج الإشارات ليدرك المشهد، والمصورة تعالجها لتخزن البيانات رقميا وتتمكن لاحقا من إعادة توليد الصورة منها.

اليد: عند عرض الصورة، تعيد المصورة معالجة البيانات لتوليد إشارات كهربائية تُشغّل الشاشة، كما يحرك الدماغ يد الرسام لوضع الألوان على القماش.

الطلاء: الرسام يستعمل الألوان المادية، والمصورة تستعمل أضواء الشاشة التي كانت في الأصل طاقة كهربائية مستخرجة من بيانات رقمية.

القماش: يطليه الرسام، والمصورة "تطلي" الشاشة بالأضواء.

وبهذا تكون المصورة نظاما مصغرا يجمع تلك العناصر كلها، يصنع بها نسخة دقيقة وسريعة من المشهد، وليس هذا إلا تصويرا.

الباب الثاني – الرد على شبهات

بحثت عبر الشبكة عن أقوال من يحلل التصوير الضوئي، وارتأيت أن أدرج منها ما وفقني الله للعثور عليه لتفنيدها والربط بينها وبين الشرح السابق.

وكل الشبهات تنبع من عدم فهم ماهية التصوير الضوئي وآلاته، و التباس وتلبيس بعض معاني الكلمات.

1. علة تحريم التصوير

الجواب:

نعم، حُرّم التصوير لسد الذريعة، ولكنه حُرّم أيضا لذاته، لعلة مضاهاة خلق الله، والنصوص الدالة على ذلك كثيرة، وقد بينا أنه لا تعارض بينها ورددنا على الشبهات التي تحاول تخصيص بعض التصوير من عموم التحريم، فمن أراد تفصيل ذلك فليرجع للأصل.

2. التصوير الضوئي ليس محاكاة بل هو حبس لظل الصورة كما خلقها الله

الجواب:

هذا الكلام متناقض في حد ذاته، فقولهم: «*ليس محاكاة*» نفي للتشبيه وصنع المثل. وقولهم: «*حبس لظل الصورة كما خلقها الله*» إثبات لصنع المثيل. ولا يعقل أخذ "ظل" شيئ، بل يُصَوَّر شكله، أي يُصْنَع مثيل له. إذن تناقض. ولا يعقل ألا تكون المطابقة من المحاكاة، بل هي أشد أحوالها.

ولذلك أقول: التصوير في الأحاديث لا يقتصر على صنع صورة أصلية، بل يشمل إنشاء صورة تشبه خلق الله. فالنقل لا يبرر الإباحة، إذ يقدر الكثيرون على نسخ الواقع بدقة كبيرة.

وهذا النوع من الحجج يسمى "تمييز بدون فرق"، مغالطة منطقية يحاول فيها شخص التفرقة بين شيئين لا فرق جوهري بينهما عبر التلاعب بالألفاظ، مثل: السيف لا يجرح بل حدّه يفتح اللحم، أو الطير لا يطير بل يرتفع في الهواء.

أيضا: "حبس الظل" خرافة، فالظل انعدام الضوء وليس مادة يمكن حبسها، ولا ألوان فيه. حتى لو قصدوا حبس الضوء، فهو مستحيل، فالضوء طاقة مرئية تُحوَّل وتُلتقط، وحبسه مستحيل، ولو كان ممكنا، لكان حبسه يجعل رؤيته مستحيلة.

3. التصوير الضوئي لا إبداع فيه

فهو مجرد نقل، وحتى الأعمى يمكنه التصوير. فلا أحد يهتم لعمله لأنه ما عمل كبيرا، على عكس اللوحات والرسوم، حيث يقال أن «*هذه اللوحة من ابتكار الفنان فلان*»، و «*يا لهذا الإبداع*»، إلى غير ذلك من عبارات الاستحسان والإعجاب. كما لا تنسب الصورة الضوئية إلى ملتقطها.

الجواب:

مقدمة

تنبع هاته الشبهة من الظن ببساطة التصوير، ومنشأ هذا الجهل بما تبذله الآلة والمستخدم من عمل في إنشاء الصورة، لأن عامة الناس لا يرون سوى الضغط على زر. لكن قلة الجهد لا تنفي العمل، ومن استعمل آلة فهو مسؤول عما تنتجه، وهذا بديهي.

وأيضا الظن بانتفاء العمل بحجة أن الأعمى يمكنه التصوير، فيُتوهَّم أن لا فعل له. وهذا باطل، فالصورة لم تكن ثم وُجدت بفعله، ولو لم يعمل لما وُجدت. ومعلوم أنه كلما ازدادت الآلة تعقيدا خفي عملها، لا أنه انعدم، خصوصا في عصر السرعة والدقة.

فإن قال قائل: «*فلتطبق نفس القاعدة على من يقف مواجها المرآة. أَوَ لم يقم بعمل، ألا وهو التوجه نحو المرآة والوقوف أمامها، فإذا بصورته تظهر فيها؟*».

رُدَّ عليه من أربعة وجوه:

1. **عكسا:** ما في المرآة ليس صورة، بل انعكاس ضوء. لا إعادة صنع، وإنما تحويل لمسار الأشعة من الجسم إلى العين عبر سطح عاكس، ولهذا يزول ما يُرى بزوال الشيء.
2. **طردا:** لو سلمنا أن ما في المرآة صورة تم صنعها، فهي مخصصة من باقي الصور بدليل استعمال الرسول – صلى الله عليه وسلم – لها، فيعود الخلاف إلى كون التصوير الضوئي مجرد عكس كالمرآة أو إعادة تصنيع صورة بدقة عن طريق آلة.
3. **طردا ثم عكسا:** لو كانت المرآة تصنع صورة، فمن الصانع؟ الواقف أمامها؟ لو كان مجرد الوقوف يصنع الصور لما احتيج إلى اختراع آلات التصوير.
4. **جذريا:** ما يُرى في المرآة ليس موجودا، بل وهم بصري. فالمرآة لا تُنتِج ولا تُخزِّن صورة، إنما تعكس الضوء إلى العين، فيُدرِك الدماغ صورة تبدو خلفها، وهي ليست هناك حقيقة. والدليل أننا نرى ما وراءها كأنه عالم آخر.

الرد الأول

أولا: التصوير هو جعل الصورة. فمن فِعله نتجت عنه صورة، فهو مصور، ولو لم يقصد.

ثانيا: الإبداع هو الإتيان بما لا نظير له. فإن قيل إن الصورة الضوئية مطابقة لخلق الله، فماذا عن الرسم الواقعي الذي لا يُمَيَّز عن الصورة الضوئية؟ أَيُباحُ لمجرد أنه رُسم يدويا؟

وإن قيل: «لكن اللوحات ثابتة»، قيل: وكذلك الصور الضوئية.

وإن قيل: «الرسام هو من شكّل الصورة بيده»، قيل: مستخدم المصورة فعل مثل ذلك حين وجهها وضغط الزر. أما كون التخطيط خُبِّئ داخل الآلة، فلا ينفي أنه هو من فعّله.

فلو زعم قاتل أنه لم يقتل لأنه "فقط ضغط الزناد"، لضحك عليه القاضي ثم سجنه، لأن الآلة لا تعمل وحدها.

وكذلك المصور: إنما أنتجت الآلة الصورة بفعله، فالفعل يُنسب إليه لا إليها.

ولو طبقنا مفهوم هاته الحجة، لانتفى اسم الفاعل عن كل فاعل يستخدم آلة لتحقيق فعل.

الرد الثاني

الصورة الناتجة عن المصورة ليست بنسخة مطابقة تماما للصورة الأصلية المُلتقطة حتى. نعم تبدو كذلك، ولكنها مجرد إعادة تركيب.

الصورة التي تنتجها المصورة الرقمية وتظهرها على الشاشة ليست إلا أضواء مصابيح صغيرة ("Pixels")، فكلما زاد عددها، زادت دقة عرض الصورة.

ولو اِسْتَعْملت مصورة قديمة أو هاتفا قديما، للاحظت كيف تبدو الصورة مضببة. ومن أسباب ذلك قلة المصابيح، فلا يبدو الجسم ناعما ومتناسقا بسبب تفرق الأجزاء المكونة له. وهذا أمر معلوم لكثير من مستخدمي الهواتف الذكية. فهل الصورة التي خلقها الله مضببة؟ لا.

وماذا عن المصورات القديمة التي تلتقط صورا بالألوان البيضاء و السوداء فقط؟ هل خلق الله منعدم اللون؟ وهل تصبح الصورة حلالا بمجرد تلوينها؟ لا، ولا.

4. لم يكن التصوير الضوئي معروفا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم

الجواب:

قد وردت نصوص عديدة في تحريم التصوير ولعن المصورين عموما، فهو من الكبائر.

فإن قالوا: «*نعم، ولكن هذا ليس بتصوير*». قيل لهم: لا نوافقكم على هذا، ولكن لو سلّمنا، فما هو؟ ولا يصح الحكم على شيئ بالإباحة دون التعرف على ماهيته.

فإن قالوا: «*هو كالمرآة*». قيل: إذًا وُجد نظيره زمن الوحي، فسقط الاستدلال.

فإن قالوا: «*هذا مجرد تشبيه، فليس هو بتصوير وليس بمرآة*». قيل لهم: عدنا إلى عدم صحة الحكم على شيئ بالإباحة دون معرفة ماهيته، فإن لم يكن التصوير الضوئي لا تصويرا ولا مرآة، فما هو بالتفصيل الذي لا يبقي غموضا؟

والمقصود أنه لا يصح الحكم على شيئ بناء على فهم لم يُعتمد في تحصيله على خبرة المختصين **المتمرسين**.

5. تثبيت عكس على ورقة

الجواب:

هذا مفهوم خاطئ، ويكاد يكون مفارقة أو مغالطة منطقية، فهو يعارض علم البصريات معارضة شديدة. لأننا لو جارينا هذا القول لوجدنا:

إذا ثبتنا عكسًا على ورقة، فهذا العكس لا يزال عكسًا، والعكس هو ارتداد لأشعة الضوء وتغيير مساره. هذا لا يعقل.

ثم لو كان يُعْقل، لما عُقِل، لأن ظهور انعكاس يستلزم سطحا صقيلا، وليست الورقة بذاك.

تناقض بعد تناقض في أربع كلمات فقط.

وهذا نتيجة – والله أعلم – محاولة التخلص من ألفاظ الصورة والتخطيط والتشكيل، فكل من يرى الصورة الضوئية يقول ويدرك أنها صورة ولو أضمر ذلك في نفسه، فالتعرف على كون الشيء صورةً أمر بدهي، ولم يستثنى منه إلا ما في المرآة، لأنه ليس هناك صورة بالفعل.

6. الصورة الضوئية ليست مضاهاة لخلق الله بل هي خلق الله

الجواب:

جواب هاته الشبهة موجود في الشبهة نفسها، فعبارة *"هي خلق الله"* تحتمل معنيين على الأقل: أولهما أن الصورة الضوئية هي الجسم نفسه، ولا يعقل هذا. الثاني أن الصورة الضوئية هي تمثيل لخلق الله كما هو، أي أن تفاصيله من صنع الله. وظننا أن هذا هو المراد.

فمستعينا بالله أقول: صورة الشيء هي شكله، والصورة الضوئية تُظْهِر شكل الشيء المُصَوَّر. هذا ما لا يمكن إنكاره. ومعلوم أن هذا الشكل الذي تظهره، منفصل عن الشيء، فهو إذن مثيل لشكله، ليس ذات الشكل، بل هو **نسخة** منه.

عند الربط بين هاتين النقطتين البدهيتين، نجد أن الصورة الضوئية تظهر نسخة من صنع الله. ومنه، الصورة الضوئية مثيل لخلق الله، فنستنتج أن الصورة الضوئية مضاهاة لخلق الله.

هذا مما لا مناص منه ولا تأويل له. فمن أخرج صنع **المثيل المطابق تماما** من معنى المضاهاة، فهذا غير صحيح، لأنه إنكار لمصطلح لغوي متفق عليه، فالمطابقة مضاهاة تامة.

7. التقاط صورة خط يد

لو التقطت صورة خط يد شخص ما، لن تزعم أنك من كتبت ذاك الخط. فما ذاك إلا نقل لخط الكاتب، وليس خطا لمن نقله بالآلة، فيقال: هذا خط فلان الذي هو كاتب الأصل.

الجواب:

عند التقاط صورة لخط يد شخص ما، صحيح أنك لم تكتب النسخة يدويا، لكنك أنشأت صورة له. النسخ لا ينفي كونه صورة منسوخة وليس الأصل.

قبل التصوير الضوئي كان النسخ اليدوي يحتاج وقتا وجهدا، أما الآن فتكفي آلة، ولا يغير هذا ماهية النتيجة، فهي نسخة أنت المسؤول عنها. وزيادة دقة النسخ لا تنفي أنه نسخ، بل تؤكد ذلك.

وحتى لو بدا أن الآلة تنقل كل التفاصيل، كقطرة حبر أو بقعة، فهي مثل رسام ينسخ بدقة كل ما في مجال رؤيته؛ المبدأ واحد، والتخطيط والتشكيل قائمان ولو خفيا، كما شرحنا سابقا.

8. تصوير الجوال أخف حالا لأن الصورة ليست ثابتة

لأنها تختفي و تبقى في الذاكرة. ويمكن محوها بسهولة وبأي وقت.

الجواب:

التصوير الرقمي أشرّ حالا من الصور المطبوعة، وذلك لسهولة صنعها ونشرها ونسخها، كل نسخة لها حكمها.

زد على ذلك صعوبة التخلص منها، إذ لا ضمان لبقاء الصورة دون نسخ. فمن المعلوم عند المتمرسين على استعمال الهواتف والحواسيب كم منها ينشئ عدة نُسَخ تلقائيا، ويختلف الكم باختلاف طريقة عمل نظام التشغيل وبرامجه. وأسوأ من ذلك الصور التي تنشر على الشبكة، فيصبح شبه المستحيل محو تلك الصورة من الواقع، فلن تدرك كم من جهاز قام بتخزين تلك الصورة وكم من نسخة تم عملها في كل جهاز. وكل نسخة صورة.

التقاط الصورة محرم أصلا، فمن المؤسف مناقشة متى تحذف. مجرد تصييرها محرم، فكيف بمرور الوقت على وجودها؟

ومن وجه آخر: تقطيع الورق ليس صعبا.

9. التفريق بين المرئيات والتصوير الضوئي

حتى قال بعضهم: «*التصوير بالفيديو*».

الجواب:

المرئي مجموعة من الصور. صورة بعد صورة بعد صورة. 24 صورة في ثانية واحدة...على الأقل، في وقتنا الحالي.

مثلها مثل كتب الرسوم المتحركة اليدوية التي تحتوي على سلسلة ضخمة من الرسوم المتتابعة، وعندما يتم تقليب الصفحات بسرعة، تبدو وكأنها تتحرك.

تعتمد هاته التقنية على مبدأ خداع البصر، حيث تتغير الرسوم تدريجيا لتعطي انطباعا بالحركة المستمرة. وسرعة تتالي الصور هو ما يوهم بتحركها.

إذن: عندما تلتقط المصورة مرئيا مباشرة، فلا تقوم إلا بالتقاط عدد هائل من الصور وتعرضها بتسلسل. لاحظت كيف يمكن بعض الأجهزة عكس اتجاه التسلسل وكأن الزمن يرجع؟

ولك أن تُعَرّفَ المرئيات على أنها: عرض سريع لسلسة من الصور.

10. فتوى الشيخ سليمان الرحيلي في المرئيات

قال الشيخ — حفظه الله — ما معناه: «إن المرئيات من المتشابهات، تجتذبها جهتان: إحداهما التحريم، لأنها تصوير، والثانية الإباحة، لأنها تحكي الواقع كحال المرآة».

قلت: هذا التفريق ظاهري؛ إذ لا فرق جوهري بين الصور الثابتة والمتحركة، فكلاهما تصوير، فالمرئيات تتألف من آلاف الصور الثابتة، تتتابع بسرعة تخدع البصر. قال ناصر الفهد في *الفيديو الإسلامي* ما معناه: «إن الصور الثابتة موجودة في الصور المتحركة، فبزر واحد تثبت».

إذن، فالأصلان اللذان ذكرهما الشيخ أصل واحد بوجهين: أحدهما علمي، والآخر حدسي سطحي. والخلل في القياس على المرآة بدل فهم ماهية التصوير الضوئي.

ويلزم من القول بإباحة المرئيات إباحة الرسوم المتحركة، إذ هي كذلك صور متتابعة تُحرك بسرعة، والفرق في المظهر لا أثر له في الحكم. فكما لا يُقال إن تحريك الصور اليدوية يخرجها من المضاهاة، فكذلك لا يصح أن يُقال إن حركة الصور الضوئية تجعلها "واقعا محكيا" لا تصويرا.

17. الرد على شرح الشيخ سعد الخثلان

قد اطلعنا على قوله في مسألة التصوير الضوئي، ووجدنا أنه على حسب علمنا، الوحيد الذي حاول التفصيل في ماهيته، ومع ذلك فقد أخطأ، والظاهر أنه إما اعتمد على معلومات خاطئة، أو لم يتحرى الأمر واعتمد على فهمه.

وملخص قوله هو: التصوير الفوتوغرافي يشبه العين، ولهذا سماه بعض الباحثين "العين الصناعية".

وأن الفيلم الحساس أو لوح الميجا في التلفزيون يشبه الشبكية في العين.

وهذا خطأ، فالعين مجرد ملتقط، والشبكية مستشعر يحول الضوء إلى إشارات عصبية يفسرها الدماغ لإدراك الرؤية، ولا تتكون أي صورة فيها. أي أن الشَّبه يقتصر على نظام الالتقاط فقط، أما نظام الرسم في المصورة فهو منفصل.

والشرح في أوائل هذا الكتاب كاف في الرد على شرحه. وردنا على الشبهات السابقة كاف في الرد على فتواه التي تلي شرحه، وفيها تناقض جلي، وهذه عادة المحللين للتصوير الضوئي.

18. التفريق بين التصوير واقتناء الصور والنظر إليها

الجواب:

إنكار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على عائشة – رضي الله عنها – اقتناءها لذاك الستار وتلك النمرقة. وأمره عليا بن أبي طالب – رضي الله عنه – ألا يدع صورة إلا طمسها. وهذان نصان شديدان في الصراحة، وتجويز النظر والاقتناء يعارضهما ويعطلهما. لأنك لو طبقت النصين، لما بقي لك صورة لتقتنيها أو تنظر إليها.

كذلك: ما صنعت تلك الصور إلا لتقتنى، فلولا المقتني، لما وجدت الصورة. فكيف يكون صناعة المنكر حراما، واقتناؤه حلالا؟ هذا تناقض جلي. وقد أجاد وأحسن وأبدع الحافظ ابن حجر في فتح الباري حين قال: «قَوْلُهُ: (إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ إِلَخْ) وَفِيهِ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ الصُّوَرُ وَالْجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ هِيَ الْمُطَابِقَةُ لِامْتِنَاعِهِ مِنَ الدُّخُولِ، وَإِنَّمَا قَدَّمَ الْجُمْلَةَ الْأُولَى عَلَيْهَا اهْتِمَامًا بِالزَّجْرِ عَنِ اتِّخَاذِ الصُّوَرِ ; لِأَنَّ الْوَعِيدَ إِذَا حَصَلَ لِصَانِعِهَا فَهُوَ حَاصِلٌ لِمُسْتَعْمِلِهَا ; لِأَنَّهَا لَا تُصْنَعُ إِلَّا لِتُسْتَعْمَلَ فَالصَّانِعُ مُتَسَبِّبٌ وَالْمُسْتَعْمِلُ مُبَاشِرٌ فَيَكُونُ أَوْلَى بِالْوَعِيدِ»[1].

-1- «فتح الباري» لابن حجر (10/ 389-390 ط السلفية).

19. القول بتحريم التصوير الضوئي يؤثم معظم الأمة ويلعنها

الجواب:

يلزم من يقول بهذا أن يقول أن معظم الأمة تُقِرُّ بحرمة التصوير الضوئي، ومع ذلك ترتكبه.

من المعلوم أن الإثم والعقوبة لا يقعان على الجاهل المعذور، وكذلك المجتهد الطالب للحق وكل من استفتاه.

ومن الخطأ استعمال هذا القول لإسكات من يقول بحرمة التصوير الضوئي. فإن توصل المجتهد الطالب للحق إلى التحريم، فليس ارتكاب معظم الأمة له برخصة وعذر شرعي، لا سيما وأن التصوير كبيرة من الكبائر، ووعيدها شديد.

بل المفروض أنه يُسْتَحْسَنَ سكوت من رأى التحليل، فهم يقولون أن هاته نازلة من النوازل، وهذا اعتراف منهم بعدم فهم التصوير الضوئي، فكل من فهمه لم يلتبس عليه الأمر وأدرك بدون تردد — بفضل الله وحوله وقوته — أن هذا مجرد تصوير بوسائل مختلفة.

20. حكم التصوير الضوئي مسألة خلافية

يقولون هي نازلة من النوازل، وقد أفتى العديد بعدم حرمته.

الجواب:

لَا، وَرَبِّي!

الاختلاف الحاصل إنما هو في ماهية التصوير الضوئي، ولا يجوز الاجتهاد في هذا، إذ هو أمر علمي تجريبي جامد بحت، لا مجال فيه للاجتهاد والتأويل.

فمن أصر على الاجتهاد فقد حكم على نفسه بالقول بدون علم، وهذا حرام؛ لا مفر منه إلا بالتوبة.

عجيب والله كيف أعرضوا عن البحث العلمي في ماهية التصوير الضوئي، واسترسلوا في المقارنات والقياسات الواهية، والملاحظات السطحية، في مسألة خطيرة جدا.

ووالله لن يستغرق مختص في التصوير الضوئي والحواسيب أكثر من بضع دقائق ليحكم بجهل هؤلاء بالتصوير الضوئي والعلوم المتعلقة به.

الباب الثالث: حجج مضادة

للاستئناس، ارتأيت أن أضيف المزيد من البراهين والملاحظات التي تزيد من بيان تناقض نفي التصوير ضوئي تصويرا، وتزيد تأكيدا على ماهيته، وبالتالي حرمته إن كان لذوات الأرواح.

1. تعديل الصور

من المعلوم أنه أصبح بالإمكان تعديل الصور الضوئية الرقمية، وهذا من دلائل كون المُصَوِّرَة تقوم بالتخطيط والتشكيل، وإلا لما أمكن التعديل، فتعديل التخطيط والتشكيل هو أيضا تخطيط وتشكيل.

وهنا تتناقض الفتاوى أكثر فأكثر، فلا يجوزون تعديل الصور، لأن ذلك أصبح مضاهاة لخلق الله.

ولو تأمل متأمل لخرج بالنتيجة التالية: **معظم التصوير الضوئي حرام لأنه قلَّ أن تنجو صورة ضوئية من التعديل**، فهي مغايرة لما نراه في الواقع.

ويعجبني أن أذكر ما اقتبسناه من رسالة (الفيديو الإسلامي):

المصورات الضوئية وسيلة للصور المعدلة، فبزر واحد تحصل هذه الصور وتعدل كما هو معروف،

فإن قلتم بأن الصور المعدلة محرمة، فهذه المصورات وسيلة إليها، وإن قلتم لا تحرم حتى تعدل، فتعديلها من أيسر الأمور، ومن أصعبها في منعها، بحيث، لو كنت من مستعملي هاته المصورات، فيقينا صنعت صورة معدلة، ومن السهل وصول العدد إلى الألوف المؤلفة، كلها عن غير قصد، ومن المعروف أن الشارع إذا حرم أمرًا، لم يبح طريق الوصول إليه.

2. وهم الواقعية والانعكاس

ارتأيت أن أوضح شبهة المطابقة وكون بعض الرسامين قادرين على نسخ الواقع لدرجة لا تصدق. وأرجو أن يجعلها الله من أسباب تمزيق غشاء وهم الواقعية الناتج عن دقة ترتيب الألوان.

ومن أهم ما أهدف إليه أيضا هنا هو: إلزام القائلين بحِلِّ التصوير الضوئي، القول بحِلِّ ما يرسمه هؤلاء الرسامين من ذوات الأرواح، فما يصورون مماثل لما تنتجه الآلات، وما الوسائل والطرق بحجة لنفي ماهية الصورة الضوئية؛ ذلك لأن الاحتجاج باختلاف الوسيلة يكون بسبب سرعة الآلة وخفية عملها، ونحن الآن في زمن اعتاد الناس فيه على تمكن الآلات من تسريع العمليات بحيث لا تُرى بالعين المجردة، فحتى الأطفال اعتادوا على ذلك، وهذا للأسف من علامات شدة التلبيس والتمويه الواقع في هاته المسألة من طرف المحللين.

ولذلك، وجدت العديد من الرسامين على الشبكة، وجمعت أمثلة لرسومهم الواقعية، وما أمكنني من خطوات رسمها للتأكيد على كونها مرسومة يدويا.

رفايال كونيشي (Rafael Konishi):



هذه الصورة شديدة الدقة وتبدو واقعية، ولكن لما ترى خطوات الرسم، سترى كم هي خداعة الألوان، وكيف توهمك بما ليس حقيقيا. وهو نفس الوهم الذي تسببه المصورة الضوئية، حيث

اعتقدها العديد كالمرآة، غافلين عن سبب تلك الدقة والوضوح في إعادة **رسم** ما تلتقطه...نعم، تعيد **رسمه** هي أيضا.

تمعن في الآتي:





لم أَحْسُب الأقلام والأدوات التي استعملها، ولكنها كثيرة، فهو لا يلون فقط، بل يمسح ويَحُكّ، ويدع مساحات شبه فارغة، مثل مساحة زجاج السيارة التي تظهر وكأن فيها انعكاسا، أيضا لمعان المعدن، انظر إليه عن قرب، ماهو إلى مساحات شبه فارغة.

نفس الشيء مع المصورات الضوئية، ماهي إلا حواسيب تحسن وضع الألوان في مكانها.

والآن، إلى السؤال المهم:

هل قدرة هذا الرسام تجعل من رسمه لذوات الأرواح حلالا؟

هل يصح احتجاج الرسام بكونه لم يقم سوى بتثبيت صورة الشخص كما خلقها الله، فهو لم يضاهي خلق الله بل نقلها فقط؟ لا طبعا.

وسيحتج الطرف الآخر بأن التشكيل والتخطيط ظاهر هنا، وقولهم هذا يكشف خطأهم، فهم حكموا أن المصورة ليس فيها تخطيط ولا تشكيل **دون أن يفهموا كيف تشتغل البتة**، وحتى من حاول فهمها لم يتعمق إلا بكيفية تعزز قوله الخاطئ.

آن جونغ-هوان (An Jung-Hwan):



مايكل جايمس سميث (Michael James Smith):

كما قلنا من قبل، لم تكن صورة:



وشيئا فشيئا:









لاحظ كيف نتحول إلى *"انعكاس لصورة كما خلقها الله تم تثبيتها"* على قماش. **هذا غلط شديد، فلتتنبه.**



لم تكن صورة، ثم كان عمل، فكانت صورة.

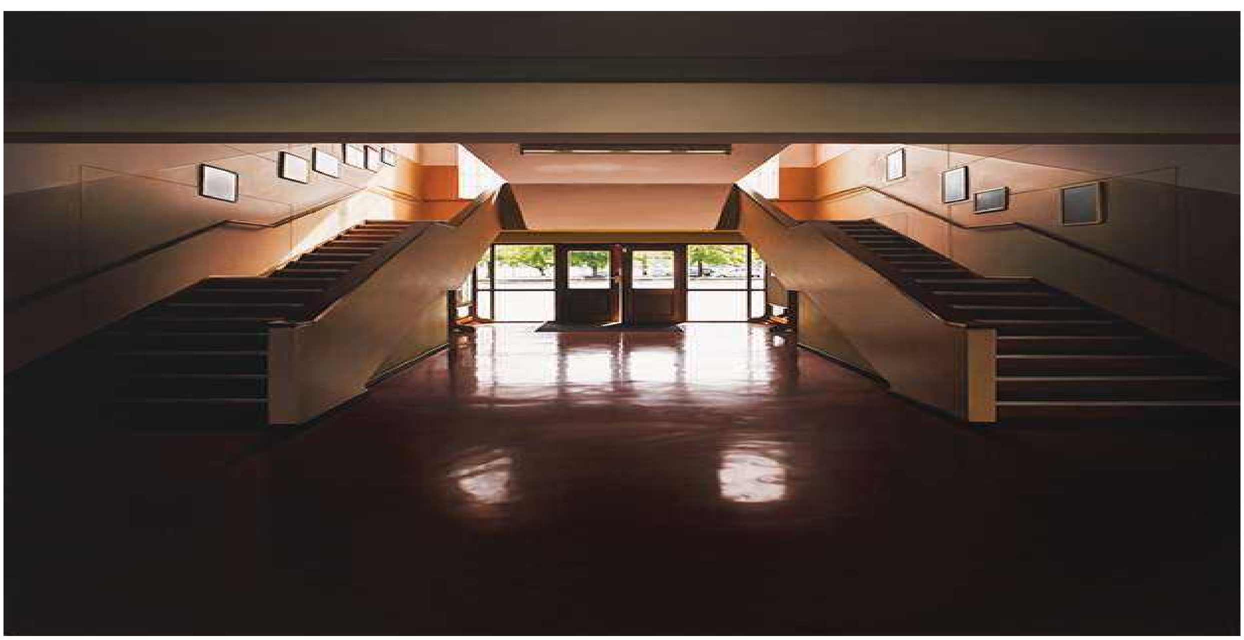
سرعة وخفية العمل لا تعني انتفاء العمل أو تغير النتيجة.

المقصود من الأمثلة كسر حاجز التصور لدى البعض حول إمكانية إعادة تخطيط وتشكيل الصورة كما تراها في الواقع. كلما اتضحت خطوات التحصيل، أصبح من الأسهل تَقَبُّل درجة الدقة الممكنة. العلوم تتطور وتزيد واقعية الصور، وما بعدها من الفتن شديد.

ملاحظة: إن شككت في كون هذه الرسومات ليست صورا ضوئية، ابحث عن "الواقعية المفرطة" أو "واقعية فائقة الدقة".

مَثَلُ مستعمل الريشة كمثل العداء، ومَثَلُ مستخدم آلة التصوير كمثل من على دراجة نارية أو سيارة سباق أو طائرة صاروخية.

:Gina Heyer



Gregory Thielker:



:Pedro Campos



3. طباعة الصور الضوئية

لو صورت صورة بالهاتف، ثم طبعتها على الورق، فلا يمكنك نفي التخطيط والتشكيل اللازم لحصولنا على الصورة المطبوعة، فمن المعلوم أن تلك الصورة المطبوعة مجرد حبر على ورق، رتبته الطابعة.

فهذا شديد البيان، ويُلزم تحريم تلك الطباعة.

ومن حرّم طبع الصور فقد وقع في تناقض، فما الشاشات إلا وسيلة حديثة لعرض الصور، وهي أشد شرا لقدرتها الفائقة على ذلك، مما لا يخفى على أحد — إن شاء الله تعالى —.

ومن أحلّ طباعة الصور الضوئية وحرم طباعة الرسوم اليدوية فقد تناقض أيضا، أشد من الأول، لأن كلتا الورقتين صنعتا بنفس الآلة، على نفس الورق، بنفس الحبر، نخطأ شديد التفريق بينهما بمجرد تغير طريقة سكب الحبر.

الباب الرابع: تفنيد شبهة التصوير لنشر العلم

التصوير الضوئي من كبائر الذنوب إن خلا من نية المضاهاة. فإن كان ذلك كذلك، فكيف تستجيزون ارتكابها للدعوة إلى الله؟ وما الفرق بينكم وبين من يستجيز معصية الله في سبيل الدعوة؟ وبين من يقول "الغاية تبرر الوسيلة"؟

هذا إن كان في التصوير نفع، فكيف وهو لا نفع فيه، إذ نقل العلم عبر القرون صوتا وكتابة.

وإن كان هذا النفع المزعوم هو إيصال الدعوة للعوام الذين انتشر بينهم التصوير، فسبحان الله، ما هذا إلا زيادة الطين بلة لكل عاقل.

بدل إصلاح الخطأ الفاحش في تحليل كبيرة من الكبائر، استسلمنا للواقع. والله المستعان.

الحاصل أنه لا مبرر لارتكاب كبيرة من الكبائر في غير ما ضرورة.

وقياس البعض لتصوير المحاضرات على صورة التابعية والجواز قياس باطل، وبطلانه ظاهر. فصور التابعية مفروضة من قبل الحكومات، أما نشر العلم فحاصل بدون أن يجبرنا أحد على التصوير، وبركته أعظم.

الباب السادس: مصدر الفتنة

يقولون التصوير الضوئي "حبس ظل". كلمة تداولوها وكأنها تفسير علمي محكم. ولو تمعّنوا فيها لظهر لهم شدة تناقض ظاهر اللفظ، ولَمَا نطقوا بها سرًا، فضلًا عن الجهر بها علنا.

وقد افترضت أنه ربما أحدثها مختص ما، ولكن **لا أحد** يُفَسِّر التصوير الضوئي على حسب ما يقولون.

إذن من أين نبعت هاته الشبهة؟

من رسالة ألفها الشيخ بخيت المطيعي المصري اسمها (الجواب الشافي في إباحة التصوير الفوتوغرافي)، وسندرج كلامه حول هذا ونرد عليه شيئا فشيئا، على الرغْم من أن الكلام يرد بعضه على بعض لشدة تناقضه، فهو يصدق فيه قول الله تعالى:

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [سورة النساء: 82].

الرد على فتوى الشيخ المطيعي

ولا نخاطب الشيخ في ردنا هذا، بل نخاطب كل من يحتج بفتواه وشرحه، أو يقتبس منه.

قال الشيخ المطيعي في رسالته (الجواب الشافي في إباحة التصوير الفوتوغرافي) ابتداء من الصفحة 20:

«*فنقول أن أخذ الصور بالآلة المذكورة على ما علمناه من الثقات في ذلك أنه عبارة عن حبس الظل بطريقة مخصوصة معلومة لأربابها*».

قلت: ويؤخذ على هذا ثلاث:

- أولها غلط جسيم، وهو استحداث لفظ "حبس الظل" الذي لا يُعقل ظاهر معناه. فمن الذي يصدّق أو يَعْقِل أن الظل يُحْبَس؟
- ثانيها غموض حال *"الثقات"*، فمن هم ولماذا نثق بهم وبتفسيرهم المبهم المعارض للبداهة والمنطق معارضة ظاهرة شديدة؟ مالذي يعنونه بـ"حبس الظل"؟ فإن تعذر معرفة حالهم، فعلى الأقل ائتنا بشرح مبين.

- ثالثها الإشارة إلى أن طريقة "حبس الظل" المزعومة مخصوصة لأربابها، أي أنه لن يشرحها ولو إيجازًا، وعلينا أن نثق بنقله المبهم، وفي هذا من الغلط والإخلال بالنقل العلمي ما لا يخفى على أحد – إن شاء الله تعالى.

أَتَرَى أن شيئًا يَحْتمل أن يكون كبيرة من الكبائر – بل ظاهره كذلك، يكفي تفسيره بشرح كهذا دون تفصيل؟ ما هاته الطريقة المزعومة التي تمكننا من "حبس الظل"؟ الظل انعدام للضوء، فكيف يحبس انعدام؟ الظل ظلام عديم الألوان، فمن أين جاءت ألوان الصورة؟

هل فكر أحدهم وأَمْعَنَ النظر في الذي يعنيه لفظ "حبس الظل"؟ لا، بل ما زالوا يعيدون شرح الشيخ للتصوير الضوئي وكأنه محكم ومدروس ومتقن ومسلَّم به.

ولذلك، إليك معنى ظاهره: «حَبَسَ الظِّلَّ، أَيْ أَخَذَهُ وَجَعَلَهُ مُسْتَقِرًا فِي مَوْضِعِ حَبْسِهِ إِيَّاه».

لا مخرج من شؤم هذا القول إلا إذا تنازلنا بأن الظل الذي يقصدون هو الضوء. ومع ذلك فقد صرّح الشيخ المطيعي بخلاف ذلك بشرح عجيب غريب – كما قال الإمام الألباني –.

قال الشيخ:

«ومن المعلوم في كيفية حدوث الظل أن كل جسم كثيف إذا قابل جرما منيرا حدث للجرم الكثيف ظل في الجهة المقابلة للجرم المنير مثلا من الشاهد الذي لا شك فيه أن الشمس إذ كانت في جهة المشرق فاظلال جميع الأجسام الكثيفة التي تقابلها تمتد إلى جهة المغرب فإذا صارت الشمس في جهة المغرب تحولت الاظلال إلى جهة المشرق وان الشمس اذا طلعت ووقع ضوءها على تلك الأجسام حصل لها الاظلال كلها بهذه الواسطة انما هو من صنع الله تعالى بدون أن يكون للعباد في ذلك صنع ومدخل أصلا ويدل لذلك قوله تعالى (ألم ترى الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا)».

إذن تقرر لدينا أن الشيخ المطيعي يقصد ذاك الظل الأسود، ولهذا نقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.

ومرة أخرى، لست بصدد التعليق على الشيخ المطيعي – رحمة الله عليه –، فقد توفي وحسابه مع الله على حسب نيته وقصده، ولكني أعلق على من لا زال يتمسك بهذا ويقول به.

ثم أطال الشيخ شرح ماهية الظل، ثم قال:

«وعلى كل حال فالآية دالة على ان موجد الظل بجميع أنواعه هو الله وحده بدون مدخل للخلق اذا تقرر هذا وعلمت ان أخذ الصور بالفوتوغرافيا ليس الا حبس الظل الناشئ بخلق الله تعالى من

مقابلة الا جسام المظلة[1] *لضوء علمت ان أخذ الصورة على هذا الوجه ليس ايجاد الصورة ومعنى التصوير لغة وشرعا ايجاد الصورة وصنعها بعد أن لم تكن فلم يكن ذلك الا خذ تصويرا أصلا وليس فيه معنى التصوير والمضاهاة لخلق الله تعالى وانما هو منع للظل الذى خلق الله تعالى من زواله اذا زالت مقابلة الجسم الكثيف المظل للجرم المنير وجعل ذلك الظل الذي خلقه الله مستمر الوجود*».

قلت: العجب العجاب ممن يصف هذا الشرح بأنه أَوْضَحَ المسألة وأن الشيخ حلّ الخلاف، وأن التصوير الضوئي لا عَلاقة له بالتصوير المحرم شرعا. اتقوا الله في أنفسكم قبل أن يتوفّاكم.

يشرح الشيخ – رحمة الله عليه – ماهية الظل شرحا طويلًا، ثم يقول أن «*أخذ الصور بالفوتوغرافيا ليس الا حبس الظل الناشئ بخلق الله تعالى من مقابلة الا جسام المظلة لضوء*».

كيف انتقلنا من ظل إلى صورة؟ من ظلام إلى ألوان، من انعدام إلى وجود؟

هب أني ذهبت إلى مصور وقلت له: "من فضلك، احبس ظلي". فصَوّرَني بالآلة وأراني الصورة. فعلى حسب شرح الشيخ، وجب علي إنكار هذا لأن الصورة ملونة، وليست ظلي، إذ ما زال لدي ظل خاص بي.

-1- هذا ما ظهر لي والله أعلم، فالكلمة غير واضحة في الكتاب.

ثم قال: «ألا ترى انه يجوز اقتناء نفس جثة الحيوان اذا حنطت وعملت لها الوسائط التي تحفظها من البلا والتعفن».

قلت: هذا قياس للظل على جثة بحجة أن كلاهما من صنع الله لا دخل للإنسان فيهما، وكل ما يعمله هو تثبيتهما لكيلا يزولا في حالة التصوير والتحنيط.

وهذا قياس باطل، لأن الظل انعدام، والجثة وجود.

الظل ظاهرة فيزيائية، الجثة جسم.

حبس الظل غير معقول، تحنيط الأجسام معقول.

ثم قال: « كما انه يجوز ان يقف الانسان امام مرآة ما شاء ان يقف فيعكس ظله فيها فلو فرضنا ان آخر حبس هذا الظل الذي انعكس بالمرآة فيها وسائط وصلته لذلك وجعله مستمر الوجود في المرآة بعد زوال وقوف ذلك الانسان امام المرآة أيمكن لا حد أن يقول ان هذا مصور صور هذا الظل وأوجده وصنعه بعد ان لم يكن مصنوعا».

قلت: إذن هذا هو مصدر شبهة المرآة.

ومما يؤخذ على قول الشيخ:

1. افتراضه شيئا مستحيلًا لا يُعْقل، ألا وهو حبس الانعكاس بالمرآة.

2. بناءه دعواه على ذلك.

3. تسميته لانعكاس الضوء بـ"الظل".

4. زعمه أن الظل يُصَوِّر، وقد افترضنا من قبل أن الشيخ قد يعني بذلك الصور أو الضوء، ولكنه صرح بخلاف ذلك، وأنه بـ"الظل" يعني ذاك الظلام، أي المعنى المتفق عليه. فإن قيل بأن الشيخ لا يزعم أن الظل يُصوِّر، بل يقول بأن ذلك لا يمكن، فنقول لهم أن الشيخ صرح بأن الآلة تأخذ الصور. لا مفر من الاعتراف بالتناقض.

5. زعمه أن "الظل المحبوس" ليس شيئا لم يكن وتم إيجاده وصنعه بالآلة، وفي هذا الكثير من التناقض:

يزعم الشيخ أصلا أن هاته صنعة، بدليل قوله — بعد قليل —: «*لا رباب هذه الصنعة*»، فإن كان ذلك كذلك، علمنا أن مستخدم الآلة صانع، وأنه يصنع.

قوله أنه «*ليس إيجاد شيء لم يكن*» خطأ محض، لأنه معلوم أننا صنعنا نسخة من "الظل" المزعوم، ولم نأخذ ذاك "الظل"، بل أصبح لدينا "الظل" الأصلي، وشيء يشبهه. هذا الشيء الذي يشبهه، أكان أو لم يكن؟ لم يكن طبعًا، بل نحن **أوجدناه** بالآلة.

6. انتقاله من لفظ "الظل" إلى لفظ "التصوير" والعكس دون أدنى مبرر.

ثم احتج بفقد الأعضاء التي لا يمكن الحياة دونها، إلى غير ذلك من الأخطاء. وقد بينا أن العلة هي الرأس كما صرح به رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فلا داعي لتفنيد كل فرع من المخالفات.

ثم قال:

«*وعلى كل حال فاخذ الصورة بالفوتغرافيا الذي هو عبارة عن حبس الظل بالوسائط المعلومة لا رباب هذه الصناعة ليس من التصوير المنهي عنه في شئ لا ن التصوير المنهي عنه هو ايجاد صورة وصنع صورة لم تكن موجودة ولا مصنوعة من قبل يضاهى بها حيوانا خلقه الله تعالى وليس هذا المعنى موجودا فى أخذ الصورة بتلك الآلة*».

قلت: يصرح بأن الآلة تأخذ صورا، ثم يقول أن أخذ الصور ذاك ما هو إلّا حبس للظل، ثم يُبْهِم الطريقة ويزعم أنها مخصوصة بأرباب الصنعة، ثم يزعم أن هناك تصوير منهي عنه وتصوير غير منهي عنه. ثم يزعم أن التصوير المنهي عنه هو إيجاد الصور، ثم يزعم أن هذا ليس ما يحدث عند أخذ الصور بالآلة.

ولا رغبة لي في إعادة بيان شدة وكثرة التناقضات في هاته الفِقْرة، فأكتفي وأقول — زيادة على بيان غلط القفز بين التصوير وحبس الظل — فإن كل التصوير إيجاد للصور، فكأنه يحتج بأن الآلة حرفيا تأخذ الصورة، ولا يأخذ بعين الاعتبار أن الصورة الأصلية ما زالت في مكانها، وأصبح لدينا نسخة منها، أي أنها أوجدت شيئا لم يكن. ومنه، يتبين أن تصنيفه لتصوير منهي عنه وتصوير غير منهي عنه لا أساس له ولا صحة ولا وزن، بل هو نتاج التناقض والفهم الخطأ للتصوير الضوئي — وربما التفلسف أيضا والله أعلم —.

ولم ينتهي الأمر، بل هناك تناقض آخر، حيث عارض استدلاله بهاته الآية:

{ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا } [الفرقان: 45].

الشاهد هنا هو قوله تعالى: { وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا }.

أي أنّ الله تعالى ينبّهنا إلى نعمة الظّل وحركته، وأنه قادر على أن يجعله دائمًا لا يزول، ولكن لم يشأ ذلك، وهذا من نعمه، لِما في تحرك الظلال من فوائد جمة.

فإن زعم أحدهم أنه قدر على حبس الظلال، فقد زعم أنه قدر على ما لم يشأ الله أن يكون.

فإن قيل أن: «*الشيخ لم يزعم أن ما يتم حبسه هو ظلال الأشياء، بل نقلها*».

قيل لهم: إن كان زعمكم صحيحًا، فلِم لم يسميه "نقل الظل"، ولم لم تسموه كذلك أنتم؟

أيلزمنا الآن تأويل كلامكم؟

ثم إنكم إن نفيتم دعوى حبس ظل الشيء، وانتقلتم إلى دعوى نقله، فهذا منكم تصريح بالنسخ، شئتم أم أبيتم. كان ظل[1] واحد، ثم أصبح ظلان، واحد أصلي، والآخر على الورق. لم يكن الثاني موجودًا حتى استعملنا الآلة.

والخلاصة أن هاته الفتوى كلامٌ لا وزن له، لا شرعيًا، ولا علميًا، ولا بدهيًا، وهذا حق والحق يقال، لا سيما في مسألة خطيرة كهاته.

-1- استعمالنا لفظ "الظل" إنما هو مجاراة لهم في سياق الكلام، وليست إقرارا له، فتسمية الصورة بالظل خطأ محض.

ومن المؤسف أن يكون هذا مصدر الفتنة والتلبيس، فجُلّ الشبه في مسألة التصوير الضوئي أصلها موجود هنا، وكل القائلين بها اِسْتَلّوا منها وأعادوا الصياغة والنشر. اللّهم إلا الشيخ سعد الخثلان — على حسب ما وجدت، والله أعلم —، فقد دقق في ماهية التصوير، ورغم أنه لم يُصِب، فاجتهاده حسنٌ وخيرُ — إن لم أقل أفضل — أقوال تحليل التصوير الضوئي.

خاتمة

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

أنصح الشباب[1] وحاشية الشيوخ بأن يتقوا الله في شيوخهم، ولا يطمسوا عليهم الحق، ولا يزيدوا الأمر وبالا. احمدوا الله على أن رزقكم شيوخا تنهلون من علمهم وأخلاقهم ورعايتهم، فكم من طلاب العلم المحرومين، المكتفين بالكتب والأشرطة الصوتية[2].

قد يستصعب البعض تحريم التصوير الضوئي لشيوعه، فيظن أن كل العلماء يوافقون على إباحته، لكن هؤلاء المشايخ إما أخطأوا في اجتهادهم، أو اتبعوا الهوى وحب الظهور. ففي الحالة الأولى، لا بأس عليهم إذا تراجعوا، وفي الحالة الثانية، ليس حكمة أن نقلدهم.

قال الشيخ يحيى الحجوري: «لا تغتروا بكثرة انتشار الباطل، فليس انتشار الباطل من مبيحاته».

-1- لأنني أستغرب بشدة انسياقهم وراء تحليل المشايخ للتصوير الضوئي بتلكم التفسيرات الخاطئة.

-2- اللّهم اهد كل من يتعلم بالمرئيات وعلى مواقع التواصل الاجتماعي والمحتوى المرئي ويظن نفسه يحسن صنعا.

الفهرس